على هامش اللزوميات

إلى المعرى

لعل موتاً يريح الجسم من نصب   إن الفناء بهذا العيش مقترنُ
(المعرى)

للشاعر التونسى محمد الحليوى

أبا العلاء، أحقاً أنت فى دعةٍ   من الخطوب، وفى سِلْمٍ من الكُرَب
هل فى رُقادك فى بيتٍ تُقيم به   على الغضاضة، ما أغنى عن النَّصَب
وهل طريق الرَّدى زهراء موثقةٌ   أم حفّها الله بالويلات والحَرَب
وكيف كأسُ الرَّدى هل فى ثمالتها   خمرٌ، وهل شربها أشهى من الضَّرَب
وما رأيتَ وراء القبر من عمهٍ   حارت عقول الورى فى سِرِّه العَجَب
أبا العلاء، لقد حاولتَ مجتهداً   فكّ الرُّموز، وكشفَ السرّ عن كَثَب
فما رأيتَ سوى طخياء حالكةٍ   وكنتَ تنظر خلف الباب من ثقب
واليومَ ها أنتَ لا بابٌ ولا حجبٌ   فقل لنا ما وراء الباب والحُجُب
ما علة الكون ... ما سرُّ الوجود، وما   فى هذه الأرض من صدقٍ ومن كذب
ما غايةُ الحىّ من دنيا يُقيم بها   وما يُراد به من عيشه اللَّجِب
والموتُ ما هو ... هل جسرٌ نمرّ به   أم هُوَ غايتنا من كلّ ذا التعب!
هىَ الحقيقة تحكى ربةً ملكتْ   عرشَ الألُبِّ على الأرباب والرسلِ
وجربتْ سحرَها فى الأرض فافتتنتْ   به الخليقةُ من فَسْلٍ ومن بَطَلِ
خلفَ النقاب بدَتْ هيفاءَ ساحرةً   تبادل الصبَّ أفناناً من الغزل
أهلُ الصَّبابة فى الأشواق ما برحوا   يَستشهدون ولا يحظَوْنَ بالقبل
كم من قتيلٍ قضى فى حُبِّ ربته   وكم رماه الهوى بالحادث الجلَلِ
لكنَّ ربَّتَهُ ظمأى إلى دمه   لا ترتوى الدهرَ من علٍّ ومن نَهَلِ
أبا العلاء، لقد راعتك نفرتُها   فهمتَ مفتتناً فى حبها الازلى
وعشتَ رهنَ العمى والحبس فى شظف   تنهى لها كلَّ ما تأتيه من عمل
وقد مضيتَ وما أُدخلتَ هيكلها   ولا أحلَّتْكَ يوماً قنةَ الجبل
وكيفَ! وهى التى فى الدهر ما رفعتْ   عنها النقاب، ولم تُسفرْ إلى رجل
كلٌّ مشوقٌ وكلٌّ آملٌ ظفراً   بوصل لَيْلَى، وكلٌّ خائبُ الأمل
يا ليتَ شِعرِىَ هل تُخفى غلائلُها   ملاحةً، أم حِمَى ليلى على دَخَل

* * *

أبا العلاء، وهل أجدتْكَ موجدةٌ   على الحياة وتجديفٌ على القدر
الكونُ ما زال مثل العهد مشكلةً   وسرُّه مضمرٌ فى مغمرِ العُصُر
والدهرُ يمشى.. فلا شكواك توقفه   ولا سبابك يثنيه عن الوطر
يمشى لطيتهِ والحىّ يتبعه   يأبى على الكُرْه أو يأتى على قدر
رحاهُ لا تنتهى فى الدهر ضجتُها   ولا تدورُ الرَّحى إلّا على البشر
وما علمْنا على التحقيق من خبرٍ   سوى القصور على الاتيان بالخبر
نمشى على الدَّرب فى جهلٍ وفى عمهٍ   والليل فى حلكٍ والدَّربُ فى خطر
ما تطلعُ الشمس مصباحاً لترشدَنا   كلّا، ولكنها رمزٌ على الحقر
والبدرُ يضحك فى عليائه أبداً   وكيف لا.. وهو يلقانا على سَخَر
وذا الفضاء كتابٌ نُصْبَ أعيننا   يُتلى فيلقى علينا خالد العِبَر
يقول فى كلّ سطر من صحائفه:
« أفٍ لكم ما لكم فى الكون من خطر »
ما أنتمُ فى قضاء الله من أحدٍ   سوى هباءٍ على الأكوان منتثر
سوأى لكم يا هباءُ هل ضجيجكمُ   ولعنةُ الأرض تثنى الدهرَ عن سفر!

(تونس)   محمد الحليوى

كان هذا الحبُّ إشعا   ع الأمانى القدسيَّه
كان رَوْضاً من جمال   وزهور ذهبيَّه
وَهُوَ طيفُ الله فى الأرْ   ضِ وَلِى أسنى عطيَّة

* * *

يا حبيبى كم تغنيْـ   ـنا بألحان الإلَهْ
وشدَوْنا فوقَ ناى الـ   ـحبِّ أصداءَ نداه
وتذوَّقنا مدامًا   من سُلافات الشفاه
وهتفنا فى حنينٍ:   إنما الحبُّ الحياه!

حسن محمد محمود